Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (5), Issue (10): 30 Aug 2021
P: 75 - 91

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (5)، العدد (10): 30 أغسطس 2021م
ص: 75 - 91

Denotations of Resistance in the Palestinian Proverb "Semio-sociological Approach"

Mahmud Muhamad Hammad
Art of college || Palestine Ahliya University
Hasan Abudl Rahman Albarmil
Faculty of Social Development College || Al-Quds Open University

Abstract: This study depends on the analysis content by used semio-sociological approach in the interpretation of proverbs through selection of a group of the Palestinian proverbs associated with the resistance dimension. Many studies of proverbs did not address this type of interpretation. Moreover, many of these studies were not up to the desired methodological level because of the proverb's varied associations with the general life. In its sociological context, the proverb stemmed from a sensory human experience, expressed in simple language. It was able to portray the life of the human through their immersion into the action framework that awakened the collective conscience which rejected the oppressive reality, which drew the differing paths of the proverb and left some margin for explicating the current crisis and how to deal with it. Since the resistant proverb is a part of the cultural landscape, it was in harmony with the novel, poem, drawing and poetry in a revolting image that stressed confrontation as well as rejection of weakness and subjection. It also succeeded in expressing an identity that embodied awareness about the suffering of human reality in all its concise and deep dimensions and historical and social framework. Despite the fact that the proverb is subsumed under the duality of subjection and revolt, the two researchers opted to address the resistant side of it, through a Palestinian model whose space abounds in a movement that bestowed a deep constructivist dimension on the Palestinian landscape. This is parallel with the current objective contexts that the Palestinian society is undergoing. Therefore, this study proceeded along three results, the first results of the interpretive structure of the denotations of the proverb and its projections on the symbols of time and place, secondly the proverb denotations and projections on plantation, animals, the third of the interpretive structure of the denotations of the proverb and its projections on the humans.

Keywords: Proverbs, Interpretation, Semio-sociological Approach.

دلالات المقاومة في المثل الشعبي الفلسطيني "مقاربة سيميسوسيولوجية" (2021)

محمود محمد حماد
كلية الآداب || جامعة فلسطين الأهلية
حسن عبد الرحمن البرميل
كلية التنمية الاجتماعية والأسرية || جامعة القدس المفتوحة

المستخلص: اعتمدت هذه الدراسة منهج تحليل المضمون مستخدمة مقاربة سيميسوسيولوجية بهدف تأويل المثل الشعبي من خلال اختيار مجموعة من الأمثال الشعبية الفلسطينية التي اقترنت ببعد المقاومة، حيث لوحظ أن تحليل هذه الأمثال قد أهمل من قبل الباحثين الآخرين، لما له من ارتباطات متشعبة في الحياة العامة، والمثل الشعبي في سياقه السوسيولوجي انطلق من تجربة حسية إنسانية، عبر عنها بلغة سهلة، استطاعت أن تصور حياة الإنسان من خلال انصهاره في إطار الفعل الذي استنهض الضمير الجمعي الرافض للواقع المضطهد، الذي رسم للمثل مساراته المتباينة، وترك حيزاً لتفسير الأزمة الراهنة وكيفية التعاطي معها.

إن المثل الشعبي المقاوم جزء من المشهد الثقافي، فقد تناغم مع الرواية والقصيدة والرسم والشعر في صورة متمردة شددت على المواجهة ولفظ الوهن والخضوع، واستطاع التعبير عن ذات اتسمت بوعي معاناة الواقع الإنساني بأدق أبعاده وأعمقها في إطاره التاريخي والاجتماعي. وعلى الرغم من أن المثل الشعبي يندرج ضمن ثنائية الخضوع والتمرد، فقد ارتأى الباحثان أن يتناولا الجزء المقاوم منه، وذلك من خلال أنموذج فلسطيني زخر فضاؤه بحركة أضفت على المشهد الفلسطيني بعدا بنيوياً عميقا، تماشى مع السياقات الموضوعية الراهنة التي يمر بها المجتمع الفلسطيني

لذا فقد انسابت نتائج هذه الدراسة في مسارب ثلاثة، تناول الأول منها نتائج الدراسة المتمثلة في البنية التأويلية لدلالات المثل الشعبي وإسقاطاته على رموز الزمان والمكان، والمسرب الثاني تناول نتائج البنية التأويلية ودلالات المثل الشعبي واسقاطاته على النبات والحيوان، والمسرب الثالث تناول نتائج البنية التأويلية لدلالات المثل الشعبي على الإنسان.

الكلمات المفتاحية: المثل الشعبي، التأويل، مقاربة سيميسوسيولوجية.

مقدمة.

تعد عملية الاتصال والتواصل مع الآخرين من أساسيات الحياة اليومية، ويعبر عنها برموز متعددة منها شفهية ومنها حركية ومنها ايحائية بما فيها لغة الصمت كنوع من أنواع الاتصال مع الآخرين لأنه ينتمي إلى لغة الجسد، وتتمثّل أهمية الاتصال في عملية تعزيز ثقافات الشعوب اذا ما امتلكت هذه اللغة المتعددة الرموز مهارات التعريف بالذات واستنهاضها وايصال الرسائل بأفضل الطرق، وحينها سيكون لنهضة الحياة واستمرارها معنى متخيلا لدى الأشخاص، وللتعبيرات واستعارة الكلمات بما فيها من مجازات وكنايات في المثل الشعبي دوراً هاماً لهذه الرموز في خلق لغة أخرى تحمل في طياتها معان متعددة وقد تعني لقائلها تأويلا غير تأويل المتلقي. ولعل الشعب الفلسطيني قد اتقن استخدام هذه الرموز المترامية في بحر اللغة المتسع بمدلولات مختلفة، حكمته ظروف ليست كأي ظروف أو معطيات أخرى. تأتي هذه الدراسة من أجل مدّ جسر التأويل وسدّ الفجوة بين رموز الاتصال ومفاهيمه. تعد عملية التواصل تعد همزة الوصل بين الأشخاص؛ لأن هذه العملية تمثل نشاطا وظاهرة اجتماعية تنتشر بين أفراد وجماعات الشعب الفلسطيني. ولكن أي نشاط لا بد له من مجموعة قواعد متناغمة تحكم هذا النشاط من حيث المعنى والدلالة.

يوجد عمومية للمثل الشعبي الفلسطيني الذي حاكى في دواله حكايات الشعوب عامة، وأما مدلولالته فلها خصوصية المنشأ والرواية وخلق تأويلاً يليق به؛ لارتباطه في سياقات اجتماعية وسياسية خاصة أضفت طابع الديمومة، ارتسمت لقرون من الزمن، مما حدا بالفلاح والثائر لامتشاقه، فلم يكن الفلسطيني وليد لحظة عابرة، ولم يكن طارئا على التاريخ، ولعل الجغرافيا والتاريخ والأوضاع الاقتصادية والوسط الاجتماعي كان لها قدرة أضفت عليه صلابة مقاومة النفي، وجغرافيته ليست ككل الجغرافيا، فطابع القدسية التي وهبها خالق الكون "جل شأنه" عليها قد صنعت مزاجا فريدا في تشكيل مكوناتها، سواء المتحرك أو الساكن فيها.

لقد كان لذلك تداعياته المتعددة على تشكيل مشهد ثقافي قل نظيره في الثقافات العالمية، ولأن الذاكرة الفلسطينية كانت الحاضنة لهذا المشهد، فقد استطاع أن يربط الزمان بالمكان، (والذاكرة وجود وصيرورة، وامتداد الماضي في الحاضر، ومصدر تخيّل، وتجربة يتعلق فيها الذاتي بالموضوعي، والعلة بالمعلول، والعرضي بالجوهري، إنها

ببساطة لحظة تماس مع النسيان الذي يشغل الذاكرة، ويشتبك معها، يوقظها لتقول كل شيء، ثم تتداعى، فالذاكرة والنسيان عنصران متلازمان، يشترط حضور أحدهما حضور الآخر. (الخديري، 2020: 1-2)

تعد اللغة بكافة رموزها إحدى مقومات الشعب الفلسطيني الرئيسة في التصاقه بأرضه وصياغة طرق حياته وطرق التعبير عنها، ومن ضمنها المثل الشعبي المحكي، فهي كنتيجة تأتي من حالة تعبيرية عن حادثة معينة من شخص معروف غالباً ما أصبح مجهولاً ليصبح فيما بعد ملكاً عاماً للناس يرددونه في حالات متشابهة، وقد تصل الاستخدامات لنفس الكلمات في المثل الشعبي إلى مناطق عدة من العالم نتيجة تشابه الجنس البشري للمشاكل والأحداث التي يواجهها الإنسان في سياقات حياته الاجتماعية والسياسية وأوضاعه الاقتصادية. وهذا يتفق مع (حجازي، 2002: 7) الذي يرى أن المثل الشعبي أصبح ملكاً عاماً للناس يرددونه في حالات مشابهة.

إن الشعب الفلسطيني له ثروات هائلة من الثقافة والفكر وبما تحمله من مجازات وسمات تعبيرية وحكم، ولعل المثل الشعبي الدارج في فلسطين هو من المكنونات الزاخرة في ثقافة الشعب الفلسطيني، فقد أخذ المثل الشعبي حيزه المعرفي في تبلور الشخصية الفلسطينية بل ذهب إلى أبعد من ذلك في احتلاله مكانة قوية ورمزية في مدلولات التعبير المقاوم في الأقوال والأحداث التي يعيشها الشعب الفلسطيني بحالة منفردة ومتميزة، ولذلك سيعكف الباحثان إلى محاولة الإجابة عن السؤال الآتي ما هي دلالات المقاومة في المثل الشعبي الفلسطيني؟ لما في ذلك من أهمية في تحديد دلالات معالم هوية الفلسطيني المحكية. إن الاستدلال لما يمثله المثل الشعبي أفضل من عملية الاستقصاء التي قد تؤدي بالباحث للوقوع في شباك التاريخ، وحينها لا تفضي للوصول إلى نتيجة تستطيع تأويل الدلالات الرمزية وربطها بالظاهرة الاجتماعية وسياقاتها، خاصة أن جميع أطياف الشعب الفلسطيني وفئاته تستعمل المثل الفلسطيني كمدلول ثقافي حسب الظرف المكاني والزماني.

مشكلة الدراسة:

على الرغم من أن الباحثين في هذه الدراسة على دراية بالكم الهائل للأمثال الشعبية ودلالاتها الاجتماعية والإنسانية، إلا أن الباحثين لاحظا ندرة الأبحاث الاجتماعية المتخصصة التي تناولت هذا الموضوع؛ لذا فقد ارتأيا أن يتوقفا على جملة من الأمثال الفلسطينية التي كانت بوصلتها تشير إلى الفعل المقاوم. خاصة في ظل الصراع الدائم في فلسطين مع الاحتلال الصهيوني، كما لاحظ الباحثان محاولات الاحتلال طمس رموز الشعب الفلسطيني بكل مكنوناته؛ لصهر الوعي الفلسطيني واقتطاع ما يمكن من مقدرات ومفردات يحاول إزاحتها وصهرها من ذاكرة الشعب الفلسطيني وحياته التي ارتبطت بالأرض والتراث كرموز لهوية معرفية وجدانية تدعم مقاومة الشعب الفلسطيني وثباته، إن سياسات الاحتلال الصهيوني تسعى إلى خلق حاجز نفسي ووجداني محبط وخطير في إطار تشكيل بنية التفكير الفلسطيني الهادفة إلى انسلاخهم عن أرضهم وفقدان هويتهم، هذا عدا عن استخدام علامات فارقة تسعى لتجنيد ما أمكن من صور مشوهة أخرى تقدم للعالم بشكل فاضح ومؤسطر تحت شعارات مؤدلجة عنصرية؛ لذلك تنشط ألاعيب العلامة الصهيونية في بعدها الإكراهي وسحريتها الداعية إلى الطاعة في بعدها العلني تارةً والخفي تارةً أخرى. هذا التخوف استدعى من الباحثين محاولتهما إعادة تأويل ورسم مملكة علامات الشعب الفلسطيني ورموزه الثقافية العميقة في المثل الشعبي الفلسطيني التي يخشى عليها من الضياع، ولهذا عمد الباحثان إلى محاولة الإجابة على السؤال المركزي الآتي: ما دلالات المقاومة في المثل الشعبي الفلسطيني؟

أهمية الدراسة:

لا شك في أن هذا المثل يشكل حالة زمانية لأحداث مكانية صاغها قائلها ليقدم بذلك تاريخا يمكن من خلاله أن يحلل الحالة الراهنة على نحو يستدعي إنعاش ذاكرة كامنة، تحاول استنهاض الوعي الجمعي للحالة

الاجتماعية التي تعاني من الاستهداف، وتسعى جاهدة إلى تنظيم الفعل وتأطيره في نسق ثقافي مقاوم، هذا النسق يتجلى في بنيته الثقافية التي شكلت الملامح الرئيسة لهويته وذاته، وتمكن الفاعلون فيه من إعادة صياغة إطار استعصى على كل عوامل التهديد والإنهاء ليعيد لهذا النسق قوته وجلدته.

كما يشكل من جهة أخرى ضميراً جمعياً احتكم إليه كل فلسطيني تأكيداً على ثوابته وحافظاً عليها من الهلاك والضياع، وبذلك نلاحظ الامتثال والإذعان لمكونات هذا الضمير عبر صيرورة الحركة في الأدب وفنياته المتعددة، التي قولبت في جملتها نسقا قيميا ذا أبعاد تجلت في الدعوة للحفاظ على الكيانية والدعوة إلى لملمة ما تداعى منه بفعل عوامل داخلية وخارجية شتى، وبذلك استطاع النسق القيمي الثقافي الفلسطيني أن يتسامى على ذاته وواقعه، وأن ينتج اتجاها اتسم بالعالمية، في ظل عدم التغطية الكافية للأداة الإعلامية العربية، وهذه القوة استمدت من قوة الإبداع في بنيتها ومختلف ودلالاتها، هذه الدلالات ارتبطت بقوة الحق والتصاق الفلسطيني بأرضه أمام أعتى قوة ضارية في المنطقة العربية. من هذا المزيج من التداخلات البنيوية ينهض المثل الفلسطيني في مشهد يستدعي التأمل والتحليل، ومن الأسباب الأخرى التي حثت الباحثين لإجراء هذه الدراسة هو أن هناك تخوفاً حقيقياً من اضمحلال وضياع لرموز الشعب الفلسطيني المستهدفة؛ ولذلك ستشكل هذه الدراسة مرجعاً مهماً للباحثين، كما ستشكل هذه الدراسة حافزاً لحالة الانبعاث من جديد والاستمرار في المقاومة في ظل عدم التوازن وقلة الإمكانات المادية والعسكرية مقارنة بالاحتلال الصهيوني. كما تعد هذه الدراسة الأولى من نوعها في محاولة فهم جزء مهم من البينة المعرفية المقاومة وتأويلها كسمة بارزة وفاعلة.

منهجية الدراسة

من الممكن معرفة الخبرة التي مر بها الناس من خلال الإصغاء جيداً لما يقولونه ويعبرون عنه للوقوف على أقرب تأويل، ودلالات تحاكي ظروف وسياقات معيشتهم، ويكتسب الاتصال اللفظي في هذه السياق معنى أكثر عمقاً حيث أن المثل الشعبي كسلوك يأتي بحسب رؤية ورغبات قائله ومقاصده كما عبر عنه (غيث، 1997: 71-75) لذلك ارتأى الباحثان أن تحليل المضمون هو الأفضل من حيث التفكيك وإعادة التركيب وخاصة أن الهدف من هذا التفكيك هو رصد القواعد السردية التي تتحكم في النص أو الخطاب المدروس. (مبتعث للدراسات والاستشارات الاكاديمية، mobt3ath. com) وكما سيقوم الباحثان باستخدام المقاربة السيميسوسيولوجية التي هي الأكثر مناسبة لدراسة دلالات المقاومة في المثل الشعبي. إن استخدام المنظور السيميولوجي بالاعتماد على أساليب التفكيك والتركيب، يعد أكثر ملاءمة لتحقيق هدف هذه الدراسة، وهو الوصول إلى تحليل وفهم معمق في كيفية نشوء العلاقة الديناميكية بين الدال والمدلول للمثل الشعبي المتداول، وبهذا فمن الصعب على البحث الكمي قياس هذه الظواهر والعوامل (Naila Kabeer, 1994). حيث عرف بارت مفهوم السيميولوجيا بأنه "العلم الذي يدرس مختلف الدلائل كيفما كانت العلاقة بين الدوال والمدلولات، وتوسع بارت في التعريف قليلا ليشمل كافة العلامات والرموز مع التأكيد على الوشائج (تشابك وتداخل) بين السيميولوجيا واللسانيات البنيوية (الدراسات العربية بالكلية متعددة التخصصات: 2013). ولذلك تم الاستعانة بمنظور السيميولوجيا الاجتماعية (محسن بوعزيزي، 2010) كإطار مفاهيمي في تأويل دلالات المثل الشعبي الفلسطيني. وبالتالي تعتمد منهجية التحليل على المقاربة السيميسوسيولوجية.

الأدب المرجعي

بعد قيام الباحثان بمراجعة الأدب المرجعي تبين أن عدد الدراسات التحليلية للمثل الشعبي قليلة؛ وعليه فقد ارتأى الباحثان تقسيم الأدب المرجعي إلى تأصيل نظري للمثل الشعبي على النحو الآتي: المثل الشعبي ودلالاته؛ مصادر المثل الشعبي؛ إسقاطات المثل الشعبي؛ نظريات تأويل المثل الشعبي.

المثل الشعبي ودلالاته:

إن الأمثال الشعبية عادة ما تأتي كنتيجة تعبيرية عن حادثة معينة، ومن شخص معروف، وغالباً ما أصبح مجهولاً، ليعود فيما بعد ومع مرور الأيام ملكا عاما للناس، يرددونه في حالات متشابهة، وقد تصل الاستخدامات لنفس الكلمات في المثل الشعبي إلى مناطق عديدة في العالم، نتيجة تشابه التجارب الإنسانية للأحداث التي تمر بهم. ولا شك أن المثل فن قديم يصاغ من تجارب وخبرات عميقة، يحمل تراث أجيال متعاقبة، يتناقلها الناس شفاهة أو كتابة، وتعمل على توحيد الوجدان والطبائع والعادات، ولذلك يعدها البعض حكمة الشعوب وينبوعها الذي لا ينضب، وقد تقوم في هذا المجال بدور فاعل في تحفيز المجتمع إلى الأمام باتجاه التطور والبناء، لذلك ينظر إليها بوصفها وثيقة تاريخية واجتماعية. (شرشار، 2002: 126). بمعنى آخر إن مفهوم المثل الشعبي يشير إلى سلسلة تفاعلات متبادلة مستمدة من الاتصال بين فرد وآخر أو فرد وجماعة، أو جماعة بأخرى، وبهذا يشير مفهوم المثل الشعبي إلى إمكانية استخدام كافة رموز اللغة حيث تشمل اللغة لدى جورج ميد ويلومر كافة المعاني، ولدى جوقمان تشمل الانطباعات والصور الذهنية.

وعبر عنه "توريانو" بقوله: "إننا نستطيع أن نكتشف بسهولة طبيعة الشعب وذكائه عن طريق الأمثال الشعبية، فهذه الأمثال تمثل فلسفة الجماهير .وكما قال "أحمد أمين": "الأمثال نوع من أنواع الأدب، يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم .أما "رشدي صالح" فقد قال: "إن المثل هو هذا الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي، ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن تطوى في رحابه التشبيهات والاستعارات والكنايات التقليدية ."(نجم، 2005).

وهناك بعض الباحثين في سوسيولوجيا الفولكلور يرون بأن أهم ما يميز المثل الشعبي "التجربة"، التي قد تبدأ فردية وتنتهي فردية في ظاهرها. إلا أنها تجربة متكررة ومشتركة، ولنتائجها تقييم مشترك، اتفق عليه الجميع. فعبر "أحدهم" عنها في بلاغة عفوية، والتقطها آخر له القدرة على المحاكاة والتقليد والحفظ، ثم كان رأي ثالث يرى بأن المثل الشعبي له سمة الحفظ عما يردد أمامه. وبالتكرار تصبح سمة جماعية متفق عليها. (السيد نجم، المقاومة في الأمثال الشعبية). إلا أن الباحث محمد كمال، 2012: 10) اختلف تعريفه بعض الشيء فقد عرّف المفهوم العام للمثل الشعبي على أنه "جملة موجزة، محكمة البناء، بليغة المعنى، وواسعة الانتشار بين فئات الشعب، وتنبع من تجربة حياتية جمعية وليست فردية".

من خلال ما ورد سابقا يستدل أن الأمثال الشعبية تراث إنساني، وسمة إبداعية لدى كل الشعوب، وإن بدت متفاوتة من شعب إلى آخر، أو من الريف عنه في المدينة، أو من فئة اجتماعية ثقافية إلى أخرى ومع ذلك كله، فهي قاسم عام ومشترك .

يبدو أن القريحة البشرية تسعى (بوعي) إلى الحفاظ على مكتسبتها الحياتية وتوريثها. فكانت الأمثال الشعبية، وبكل خصائصها من إيجاز وتكثيف من إحكام ودقة في المعنى، وقوة تعبير للوصول إلى الغرض بلا موارية. وقد شهد البعض هؤلاء الذين يفضلون الحديث بالحكمة (كما يتم وصفهم) وهم في الحقيقة يكثرون من ترديد

الأمثال الشعبية بين ثنايا حديثهم. هكذا يعد الوجدان الشعبي استخدام الأمثال وكأنها "الحكمة" أو من الأفعال الحكيمة.

وفي دراسة أجراها خليل قطناني (2017) " المكوّنات المعرفية في المثل الشعبي الفلسطيني-مقاربة سوسيولوجية أدبية" حاول الكاتب معرفة المكونات المعرفية للمجتمع الفلسطيني من خلال عينة لمختلف الأمثال الشعبية من مرجعيات دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية، مستخدماً المنهج الوصفي، وقد توصل إلى أن المثل الشعبي من أقدر أشكال الأدب الشعبي استيعابا لتلك التمثلات ولعب دوراً في صياغة التجارب صياغة مرمزة مكثفة بلغة شعبية فنية تخدم العملية التواصلية التفاعلية وترسم صورة عن حياة المجتمع الفلسطيني في علاقاته السوسيولوجية الداخلية والخارجية. ولكن هناك عدة انتقادات توجه لهذه الدراسة، أنها قد استخدمت المنهج الوصفي الذي لا يناسب هذه النوع من الدراسات ولم يقدم تحليلاً معمقاً للمجتمع، كما أنه خلط كثيراً بين نوعية الأمثال الشعبية التي تناولها بغض النظر عن طبيعتها وأوجه تأويلها ومناسباتها.

مصادر المثل الشعبي:

لوحظ من الأدب المرجعي أن مصادر المثل الشعبي متعددة فمنه ما استمد من حكاية أو نكتة شعبية مثل "مسمار جحا" ومنه ما اقتبس من التراث الأدبي مثل سيرة عنترة، ومنه ما أقتبس من الأغاني الشعبية مثل "عيشة بالذل ما نرضى" ومنه ما استمد من ملاحظة جمال الطبيعة والتضاريس مثل "لو بدها تشتي غيمت" ومنها ما استمد من التجربة الخاصة "ما في سكرة إلا والها مفتاح" (ملتقى النسر الأحمر، 2007).

قد يكون الإنسان العادي مصدراً للمثل الشعبي ويحمل كلامه وتعبيره طرق تفكيره الواقعي ورؤيته الخاصة، وقد يكون الإنسان المفكر الفيلسوف الذي يقرأ الواقع ويحاول تعليل الظواهر وشرحها وتفسيرها وهو ما نعثر عليه في كتب الآداب والتاريخ والجغرافيا. والكثير من هذه الأمثال مبني حول قصة واقعية أو حادثة معروفة في التاريخ، إلا أن هناك بعض الأمثال الشعبية قد بني على خرافة أو أسطورة أو حكاية شعبية من الوسط العامي. لذلك يعتقد بعض الباحثين الاجتماعيين أن الأمثال الشعبية ليست وليدة نظام فكري أو سلوكي بحد ذاته كما ذكر سابقا، بل هي رؤية تعبر عن السيرورة الحضارية للشعوب في ارتباطها بماضيها وحاضرها ومستقبلها، إذ يشترك أكثر من ظرف في نسج صورة المثل، وعلى العموم يساهم في بناء المثل العلماء ورجال الدين والسياسة والأفراد العاديين البسطاء، مما يعطي ديناميكية التأثير، ويربطه بمختلف الأحداث والمواقف في الحياة اليومية. (أيوب، 1999: 85).

وعلى الرغم من تعدد مصادر الأمثال الشعبية سواء الإنسان العادي أو المفكر، أو التراث والأدب المتنوع أو غيره، إلا أنها تبقى تعبيراً عن عبقرية الشعب في اقتناص هذه الأمثال من التجارب وصياغتها صياغة مركزة موجزة تعبر عن الواقعية تعبيراً مذهلاً، ويصبح مفهوماً بنائيا معرفيا وجدانيا في الكل المعرفي المتداول بين مختلف فئات المجتمع الإنساني وطبقاته.

اسقاطات المثل الشعبي:

لا يخفى على أحد اليوم أن إسقاطات المثل الشعبي لم تعد محصورة على الإنسان، والمكان، والزمان، والجماد والنبات بل تعددت صوره الإبداعية في كل ما هو متاح للعين وللاذن والإحساس والعقل ولتجارب فردية وجماعية، ولكن ما يتضح أن علاقة الإنسان بالمكان الجغرافي علاقة وجود، ذلك أن المكان أسبق في وجوده من الوجود الإنساني الذي ارتبط بالأرض بوصفها مأوى وموطناً ومصدراً لعيشه وقوته، فمنذ القدم وحتى وقتنا الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي والقريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه، مخاوفه وآماله وأسراره وكل

ما يتصل به وما وصل إليه من ماضيه ليورثه إلى المستقبل، ولذلك حاول الإنسان تجسيد الأشياء المجردة بأشياء محسوسة، وإخضاع العلاقات الإنسانية والنظم لإحداثيات المكان الجغرافي.

يمكن القول إن نماذج العالم الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية العامة التي ساعدت الإنسان عبر مراحل تاريخه الروحي والمادي على إضفاء معنى الحياة التي تحيط به، إن هذه النماذج تنطوي دوماً على سمات مكانية، ولعله من الطبيعي أن يكون لهذا الالتصاق المكاني علائق متجذرة في عمق التجارب والخبرات الإنسانية المرتبطة بالمعرفة الفطرية التي جبل عليها الإنسان، متخذاً منها مسوغات مفاهيمية لقيم أخلاقية واجتماعية ونفسية وجمالية، كون الرمز يدرك إدراكاً حسياً مباشراً من خلال خبرة الإنسان لجسده الذي هو مكمن القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوانية للكائن الحي، ومعرفته بما يحيط به بدءاً من المتناهي في الصغر إلى المترامي في الكبر (الشوفي، 2018: 1).

إلى جانب ما ينطوي على هذين العاملين (الزمان والمكان) من مزايا في تاريخ المكان وحياة الجماعة التي عاشت فيه، والأهمية الدنيوية والروحية الفريدة التي منحاها له، فقد حملا أيضا لفلسطين كجغرافيا متخمة بالروح والمقدس والرموز والأهمية، وللفلسطينيين كأهلية أصيلة للمكان غضبهما الفريد أيضا، لأن عامل (المقدّس) و (عبقرية المكان) جعلاه محل نزاعات وصراعات شاملة وكبرى، اشتبكت في سياقها الميثولوجيات والأيدولوجيات وتصارعت فيه أيضا إرادات ومصالح واستراتيجيات متناقضة ورموز لا تتفق ومفاهيم متناقضة للحق كانت تحملها الأطراف المتنازعة بشأن فلسطين ومعناها معا (فرحات، 2010: 146).

نظريات تأويل المثل الشعبي:

عرف مفهوم التأويل في الأدب السوسيولوجي على يد "فيبر" الذي كان يقول بأن مهمة عالم الاجتماع هي" الفهم من خلال التأويل لتلك الأفعال الموجهة بصورة لها معنى" (مقراني، 2016). ويقف غيدنز مدافعاً بشدة عن ضرورات إحياء التراث التأويلي ومنتقداً ما أسماه الإجماع المتزمت، الذي يعتمد على وحدة المنهج العلمي وعلى إمكانية تطبيق قوانين عامة على الظواهر الاجتماعية كما في المجال الطبيعي، لأن البقاء عند مستوى مادية الوقائع الاجتماعية بوصفها أشياء، إنما تنتقص من الواقع الحقيقي للعالم الاجتماعي الذي يمتلئ بالرموز، ومنه فلا يجب المغالاة في البحث عن العلاقات السببية ولكن يمكن القول أن العلوم الاجتماعية هي علوم تأويلية، حيث إن النظرية الاجتماعية هي نظرية مشبعة بالتأويل بامتياز لأنها تسعى إلى الفهم المتعمق للفعل الإنساني، الذي يعد بطبيعته فعلاً قابلاً للفهم، ويتحقق ذلك فقط باكتشاف المعاني الخفية وراء الأفعال عن طريق دراسة القواعد التي يتبعها الفاعلون في سلوكهم "فالسلوك ذو المعنى هو نشاط موجه بالقواعد التي تمنح الفاعل تبريرات لسلوكه" (زايد، 1996: 65). وعملية فهم المعنى والتبريرات تلزم الباحث ربط السلوك الملاحظ بالقواعد المحددة له، وهذه الأخيرة لا تأخذ مطلقاً شكل قانون مثلما هو عليه الحال في العلوم الطبيعية، لأنها عبارة عن واجهات خارجية للمعاني الداخلية المرتبطة بأفعال الأفراد.

لذا تصبح مهمة عالم الاجتماع مهمة تأويلية، كما يصبح الموضوع الخاضع للتفسير مؤسساً على تأويل الأفعال في الحياة اليومية في الحياة الاجتماعية، وهذا ما يطلق عليه "غيدنز" التأويل المزدوج. حيث تفترض نظرية البنية عنده علاقة معقدة بين لغة الحديث اليومية ولغة العلم. فالحياة الاجتماعية المليئة بصور التفاعلات الإنسانية تتشكل في ضوء تأويلات متبادلة للسلوك ذي المعاني الثرية والمتباينة التي تتجلى في صيغ رمزية لغوية، وعندما ينخرط عالم الاجتماع في عالم المجتمع بنيّة البحث فيه لا بد له أن يتمثل نسق المعاني الخاصة بالمجتمع بل وينخرط أيضاً في صور الحياة التي تشكله، وتلك مهمة تأويلية أولى. ففهم المجتمعات البشرية لا يتطلب تأويلات

للأفعال الاجتماعية فحسب، بل يتطلب فهماً للكيفية التي يتم بها تشكيل تأويلات الناس وبناؤهم لمعاني أفعالهم، حيث أن التأويل المزدوج يقوم على توليف علاقة بين عناصر ثلاثة هي: فهم عالم الاجتماع، وفهم التأويلات الخفية في اللغة اليومية، وبناء لغة علم الاجتماع، لترتسم الصورة في النهاية.

إن التأويل عبارة عن استدلال منطقي، يبرهن الباحث من خلاله على قدراته الاستدلالية وتفتُّح ذهنه ومعرفته للواقع (وجهة نظره الشخصية النقدية)، " إن التعبير عن وجهة نظر شخصية، يعني فقط الإتيان باعتبارات جديدة انطلاقاً ممّا توحي به النتائج". (موريس، 2004: 427). وطالما أن المثل الشعبي له جانب تأويلي، فإن هذا يقتضي للباحث في سوسيولوجيا الفولكلور أن يعي البعد التأويلي لسياقاته التي قيل فيها، وأن تكون له قدرة على الولوج في المعنى الذي يقصده. وأيضا لا بد له من أن يكون لديه إطار معرفي لعملية التأويل.

لا شك أن عملية التأويل ترتبط بافتراض حقيقة واقع عقلي يقوم على المعاني وخاصة تلك المعاني التي يحملها الناس لأفعالهم وذواتهم وذوات الآخرين والبيئة، وبهذا تصبح وظيفة البحث التوصل إلى قراءة هذه المعاني وفهمها، أي تأويل المعاني. إذن عملية التأويل المرتبطة بالمعنى هي وسيلة علمية يراد من خلالها فهم الواقع بوضوح ودقة، وبما يمكن التحقق من نتائجها. ويصبح التحقق من صحة النتائج في هذه الحالة عملية عقلية بشرط استيعاب شمولي لعناصر الفعل في إطار المعنى المقصود. (جامعة القدس المفتوحة، 2010: 106).

على هذا النحو يلاحظ الارتباط بين المجتمع والمثل وأن الأمثال الشعبية تحتل حجماً يعتد به من الذاكرة الشعبية، بوصفها من الأشكال التعبيرية الأكثر انتشاراً وشيوعاً بين الناس، حيث لا تخلو أية ثقافة منه (أحمد، 1999). إن هذا الموروث الشعبي يمكن تصنيفه في خانة "الموسوعية" التي حددها الجاحظ في قوله المشهور: "الأدب هو الأخذ من كل شيء بطرف". فالأمثال الشعبية من وجهة نظر سوسيولوجية يمكن أن تعبر عن الحياة عبر سلسلة أقوال نثرية، لا تخضع ظاهرياً لنظام معين، غير أنها متكاملة في موضوعاتها، ومستقلة لغوياً في بنيات قصيرة، تعكس قيماً فنية وفكرية بل وحتى حضارية، تؤدي وظائف شتى: كالتعليمية، والتسلية، والنهي والزجر والدعوة إلى التآلف وغيرها من الوظائف، ومن هنا يمكن ربطها بمؤسسة التواصل المعرفي الشفوية. فالمثل الشعبي بالإضافة إلى كونه عنصراً من عناصر الثقافة الشعبية، التي يعدها بعضهم مرآة لطبيعة الناس ومعتقداتهم، لتوالفها وتغلغلها في معظم جوانب الحياة اليومية، تعكس مختلف المواقف، بل تتجاوز ذلك أحياناً لتقدم أنموذجا يُقتدى به في مواقف عديدة.

كما تساهم الأمثال الشعبية في تشكيل أنماط اتجاهات المجتمع وقيمه مما جعل بعض الباحثين والمهتمين بدراسة الثقافة الشعبية يجعلونها محوراً أساسياً في أعمالهم البحثية، لما يتسم به المثل من خصائص تساعد على تتبع نشأته، فلكل مثل حكاية تشكل أنموذج حياة وتماثُل مع التجربة التي أحاطت بمن ضرب به المثل (شرشار، 2002). إن المثل الشعبي قد يأخذ أبعاداً عديدة تتراوح بين الانسجام والاشتباك، ويأخذ كل تأويل حيز المنفعة إذا كان هذا المعنى مردوده ذاتيا، ومن جهة أخرى يأخذ حيز الأريحية إذا كان هذا المعنى جمعيا. وتضارب عملية التأويل للمثل الشعبي يرتهن إلى هذين البعدين.

في حين أن أصحاب المنظور السيميولوجي يرون أن الدال والمدلول وجهان لعملة واحدة ولا يمكن الفصل بينهما إلا إجرائياً والعلاقة بينهما تكوّن العلامة، وفي هذاالسياق يعني أن كلمات المثل هي تمثل الدال، أمّا المدلول فهو المعنى والمحتوى الذي يشير اليه الدال ويعد الدال أساساً في المقاربة السيميولوجية، إذ تقتضي عملية تصنيف الدوال ضمن علاقات تركيبية إلى بناء نسق من العلامات، وهذا بحد ذاته مفصل مهم من مفاصل الجهد السيميولوجي. (بوعزيزي، 2010: 65-66). وقد يكون الواقع الاجتماعي مشبعاً ومسكوناً بالدوال أكثر من المدلول وهناك تخوف من ذوبان هذا الأخير في القدرة الاستثمارية في داخل المجتمع وخاصة الفلسطيني المستهدف، فتعمق الاستلاب وتشنج الهوّية الاجتماعية التي هي جزء من الهوّية الوطنية لا يبقى منها إلا العلامة التي يعوزها العمق وهي

بأمس الحاجة إلى هذا العمق وبالتالي التخوف من أن يسكن هذه الأمثال الشعبية الفراغ الذي سيكون متاحاً، ما لم تسع السيميولوجيا إلى الخروج من خيبة الأمل التي قد تتمثل في التشويه الذي تلاعبت به أهواء الدال بعيداً محتوا رموزه ومعانيه الاجتماعية والوطنية.

الأمثال الشعبية الفلسطينية:

إن الحراك الوطني في الحالة الفلسطينية لم يرافقه كماً في صياغة المثل الجديد بقدر ما رافقه من كم في الأغنية الوطنية والقصيدة والزجل وحتى في الرواية الفلسطينية، وبقي مخزون المثل الشعبي متوارث حد الوجود؛ لاستثماره في الصراع مع الاحتلال الصهيوني، ولعل ذلك مرده يعود إلى أن المفردة في المثل الشعبي قصيرة لا تغطي هذا الكم الهائل من الفعل الوطني عبر أكثر من قرن من الزمان لكن مدلولاته أكبر بكثير من دواله، وكأن حال المثل الشعبي الفلسطيني يتقولب في مفرداته حول الحدث الفلسطيني في زمن له ارتباطاته الاجتماعية والثقافية. والمثل الشعبي الفلسطيني يرتبط بمزاج ثقافي هادئ وأحياناً عنفوانياً؛ وهذا ما جعله يتصف بالديمومة من خلال ذاكرة استطاعت أن ترسم الخريطة الذهنية لمسارات هذا المثل، التي مكنته بدورها إلى توجيه الفعل المقاوم في سياق الحراك الوطني عبر أكثر من عشرة عقود مضت.

المثل الشعبي الفلسطيني المقاوم ارتبط بعاملي الانتماء والمنفعة، وتشير الأولى إلى أن المثل الشعبي الفلسطيني انسجم مع الحالة الوطنية وما أفرزته من اشتباك مع المحتل، فالشهادة والاعتقال والتشريد واللجوء والأسر من نتاجات هذا المشهد، أما الوجه الآخر وهو شاذ عن الحالة الوطنية الفلسطينية (رغم وجودها على الواقع) وهي حالة المنفعة التي يمثلها الانهزاميون والعملاء والمساومون الذين ارتضوا بالذل والهوان لحياة مزرية قوامها رغد في العيش تحت مظلة القبول بالأمر الواقع والتي لن تقف في وجه أقل ثورة عاصفة تطيح بهؤلاء.

نتائج الدراسة.

تم تفسير عينة مختارة من الأمثال الفلسطينية المقاومة وتحليلها كي يقدم الباحثان للقارئ العربي صورة متكاملة عن مدى التناغم بين فلسطين الجغرافيا وفلسطين التاريخ في المثل الشعبي، وبين الفلسطيني الذي استعصت إرادته على الذوبان نموذجاً متجدداً على الآخرين أن يحسنوا قراءته، ولا بد أن يعيدوا إلى ذاكرتهم أن الموروث الثقافي الفلسطيني زاخراً ومتخماً برموزه والمثل الشعبي جزء من هذا الموروث، إذا ما أحسن تحليله وتبيان دلالاته والذي حتماً سيرفق بالفلسطيني وإن تراكمت وتكالبت عليه دوال ودلالات الازاحة المقصودة من الجهل الذاتي ودوال ومدلولات العدو الصهيوني. حيث سيتم ذكر بعض الأمثلة كنموذج متكامل ثم يتم تحليلها وتفسيرها بطريقة سيميسوسيولوجية لبناء ما أمكن من مملكة لهذه العلامات بما يتوافق مع منطق العلم الواقعي في دراسة مثل هذه النوع من الظواهر البنيوية والاجتماعية في لغة محكية على أرض الواقع وفي مخيال الفلسطيني.

إن رصد المثل المقاوم وإنعاشه في الذاكرة تقتضي رؤية فاحصة تسعى إلى خلق استدلالاً موضوعياً فلسطينيا لهذا المثل المتشعّب والمتخم، لكن التركيز سيكون أكثر محاولة للوصول ما أمكن إلى مدلولاته في الواقع، ومن هذه المقاربة انبثقت فكرة هذه الدراسة، وقد ارتأى الباحثان أن يكون تقسيم تأويل دلالات المثل الشعبي لهذه الدراسة على النحو الآتي:

1- البنية التأويلية لدلالات المثل الشعبي على الزمان ورموز المكان

لقد تناول المثل الشعبي الفلسطيني المكان والزمان بصيغ مختلفة فقد ذكر المثل الشعبي الفلسطيني عدة أمثال في هذا السياق، يمكن الإشارة إلى بعضها منها كدال ليس إضافياً بقدر ما هو مدلولاً حاسماً في لغة التضاد

والنضال للانبعاث من جديد فمن هذه الأمثلة (ما بحرث الأرض إلا عجولها)؛ (الدار دار أبونا وأجو الغرب يطردونا)؛ (إلي بفرّط بأرضه بفرّط بعرضه)؛ (هون طاب الموت)؛ (لبسنا الكتّان ونسينا إلي كان)؛ (هذه أرض مقدسة ما بخفى فيها سر)؛ (إلي ما إلو ماضي ما إلو حاضر)؛ (الأرض بتفرح لأصحابها)؛ (هذه أرض مقدسة ما بدوم فيها ظالم)؛ (إلي بصبر بنول)؛ (كل ساعة ومعها فرجها)؛ (وحجر على حجر نبني دار)؛ (الصرارة بتسند جبل)؛ (كل غريب لبلاده راجع)؛ (أنا وأنت والزمن طويل)؛ (الحجر في مطرحه قنطار)؛ (من طين بلادك حط على أخدادك).

تتدخل مكنونات الذاكرة كي تبدأ بصياغة صورة كلية لخارطة المكان على نحو يكون موجها لرسم إحداثياته، وهذا يستدعي وجداناً نقياً قادراً على ذلك، فالمنفى سعى جاهداً كي ينال من هذه الذاكرة، إلا أن الفعل الذي ارتبط به مكّنها من إيجاد جماعة تعي نفسها وصيرورتها وتاريخها منذ أمد قديم، وتعي علائقها بالذات والآخر والزمن والعالم من خلال تمحورها العميق في مكانها وأثره الجوهري في تشكيلها، وكأن الجماعة هنا مبنية من المكان.

ومن هذه الوجهة فإن المكان الأول في حياة الفلسطينيين لم يكن فقط مطلق شرط وجودي أو مجالا ضروريا لتفاعلات حياة الفرد والجماعة وتأطيرها، وما يترتب عن ذلك من علائق وجود ومصالح وتفاعل وانتماء، وبناء رواية جماعية للتاريخ وتصورات للكون. بل إن طبيعة المكان وخالقه (جل شأنه) قد زودتا المكان بعاملين أساسين خارجين عن قدرة البشر، كان لهما الأثر الأكبر في تاريخه الحضاري والسياسي منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا، أضيف عليه موقفاً متميزاً انفرد به الفلسطيني، الأول جغرافي حيث فلسطين همزة وصل بين القارات الثلاث والحضارات المتعددة، والثاني ديني بوصفها موطن للديانات السماوية. (الحوت، 1991: 481).

يلاحظ أن المثل الشعبي جزء أصيل في التراث الثقافي، كما أنه يحتل حيزاً واسعاً في الذاكرة، لذا كان استحضاره يتطلب منطقاً علمياً نقياً يرتقي إلى مستوى المزاوجة بين المكان والزمان، فطالما ما انتاب أرض فلسطين قلق دائم منذ عهد قديم من الزمان، وهنا تجلى المثل الشعبي الفلسطيني المقاوم في سياق شعوري امتزج فيه عنصري الزمان والمكان، لينتج بذلك صورة ممتلئة بالحركة ومعبرة في الوقت ذاته عن مزاج اجتماعي نقي، ارتبط عضويا بالأرض والإنسان، واختزل التاريخ مؤقتاً في صيرورة فعل تكاملت عناصره في مشهد إبداعي، استطاع أن يشكل قاعدة قوامها ذاكرة استعصت على الطارئين إحالته إلى الكامن من الزمان.

وتشهد الجغرافيا حضورا شكّل للمثل رافداً ذا دلالة رمزية، على الرغم من البساطة في القول إلا أنها أحسنت التركيب الذي أضفى على الحركة والصمود معنى ذا أبعاد قيمية طاهرة، وعزيمة بقاء أدهشت المختصين في الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية والأدبية على حد سواء، ولم يكن هذا من فراغ، لأن النتاجات التي أفرزها قد أظهرت استنهاضا للوعي الجمعي الذي لا يقبل أي تأويل ولا مدلولاً غريب عن معناه وواقعه إلا معنى واحداً وهو أن فلسطين بمكوناتها البشرية وعناصرها الساكنة هي محركاً دائماً لهذا المثل الذي يرتقي لمشهد الحق التاريخي المرتهن بالجغرافيا المتسامية على علامات الاحتلال الإحلالية المتأسرلة.

فالوطن والأرض والتاريخ والشهادة والنصر مكللة بالصبر والترفع عن التنازل كلها مفردات شكلت المثل الفلسطيني المقاوم، صقلته في إطار صلب جعلته يتصف بالديمومة في هذا المكان الذي لا يشبهه مكاناً آخر، وإن سكن في مرحلة ما نتيجة طفرات الزمان على المكان. هناك استدلالاً عميقاً في مدلولات المثل الشعبي الفلسطيني فعلى الرغم من تشابه الأمكنة في الوطن العربي إلا أن فلسطين ووجودها في المخيال الفلسطيني كانت تمزقه الرغبة والحاجة للانعتاق من الاحتلال لمكان موعود بالنصر الإلهي ومنبع الايمان بالحق الذي لا يخبو مع الوقت. فهو تاريخ لشعب عريق امتد لخمسة آلاف عام قبل الميلاد، فهذه مدينة القدس ومدن يافا وبيت لحم وتل الربيع وأم الرشراش وغيرها الكثير قد تشابهت بنيتها وارتبطت أنماط الحياة ومهنها وثقافتها وتسمياتها العربية الأصيلة، التي لم يستطع الاحتلال انتزاع تسميتها أو محوها من الذاكرة الفلسطينية لارتدادها إلى تسمية وعراقة تاريخية تنتزع قدسيتها من إله

الكون، ولا "ترانسفير" المحتل الصهيوني "وابراتايد" العلامات لصهر مرجعيات هذه الذاكرة، وهذا ما كان مستدلاً به من الأمثال الشعبية على تصميم هذا الشعب على التحرر وديمومته في تأصيله لذاته وهويته الوطنية.

لقد شرعت هذه الأمثال الشعبية لتبحث عن دلالة في الظاهر توسلاً للشيء عينه فنجد أن القراءة السيميولوجية قد أعطت مشروعيتها العلمية من خلال النص القصير في جملة مختصرة تتلاقى في معناها مع رولان بارت" السيميولوجيا والتحضر". هذه الأمثال الشعبية لها لغة خاصة لها مدلولات تصورية وعقلية اتفقت عليها دوال تخاطب الشعب الفلسطيني فسكان هذا المكان (فلسطين) اتقنوا الحديث عن مدنهم وقراهم ومخيماتهم وكأن المدينة تتحدث إلى سكانها وهم يخاطبونها كجزء لا يقبل الانفصال بين جسد تمثل بالمكان وروح الإنسان الفلسطيني وخلاف ذلك صحيح.

مثال آخر وهو مدلولات رمزية الحجر في المثل الشعبي الفلسطيني لعل القارئ للوهلة الأولى ينتابه مدلول الصمت لهذا الحجر أو المتصنم في ذاته غير أن دور الحجر في النضال الوطني الفلسطيني وانتفاضته ضد الصهاينة لم يكن مفاجئاً للذاكرة فهو قد احتل وسيلة وغاية في الوعي الشعبي الفلسطيني، فالحجر منذ الكنعانيين الأوائل له دور مهم في حياة الفلسطينيين سواء كانوا في الجبل أو السهل أو الغور. فقد تسلّم الفلسطينيون الحجر وأحسنوا استعماله، واكتسب أهميته من سواعدهم، ومن الأهداف التي من أجلها يضربون الحجارة. (الحلبي، 2009).

إن الحجر لم يغب عن الفعل المقاوم في الحالة الفلسطينية، ولعل الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي حدثت عام 1987 كانت شاهداً في قاموس حركات التحرر العالمية إذ احتلت الانتفاضة مكانها في ثورات العالم الحديث باسم "ثورة الحجارة" فلم يعقل المحتل أو من ساواه في الانبطاح بأن يتصدر الحجر بأيدي الفتيان سلاحاً في وجه جيش الاحتلال الصهيوني الذي يحاصرهم بدباباته ومدافعه ونيرانه، فما الحجر بسلاح قاتل ولا حامله بمقاتل مدرب، ولذلك فقد كان أكثر أسلحة الانتفاضة شهرة إلا أن أغراض استعماله المتعددة في الانتفاضة وبشكل يومي وعلى الأخص في المصادمات أثناء التظاهرات الصاخبة مع قوات الاحتلال، أضاف الحجر معنى آخر عدا عن كونه سلاحاً من أسلحة المقاومة فحسب وإنما أداة معرفية صقلت في بعدها شخصية متجذرة ضد قوات العدو المدجج بآلياته العسكرية، واستخدم أيضا لإقامة الحواجز وإغلاق الطرق وبناء السواتر والمتاريس والكمائن وبناء البيوت (مركز المعلومات الفلسطيني) وكان للطفل فارس عودة موعداً مع الشهادة كغيره من الأطفال حينما جابه بحجره الصغير أعتى مركبة قتالية المعروفة بالماركافاة (يعني الدبابة الحديثة والمصفحة).

من سوء طالع بني اسرائيل أن لهم ذاكرة رديئة مع الحجارة عبر تاريخهم الحافل بالقساوة، ولعل المولى "جل شأنه" هو أدرى بجبلتهم، فكما كان لأبرهة الأشرم نهاية مأساوية حينما تجرأ على بيت الله الحرام، كان قدره حجارة من سجيل، أهلكته وفيله وجيشه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (5)﴾ (سورة الفيل: 1-5). فقد صور الحق "عز وجل" في القرآن الكريم اليهود في كتابه ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة: 74)

فالحجر في موقف للرهبة والاعتزاز بينما في موقف آخر مثال للاحتقار والدونية. وللحجر نصيب في وعي الفلسطيني وذاكرته الثقافية والاجتماعية، فنرى مشهد الحجر في المثل الشعبي الفلسطيني مثالا للاعتزاز الموضوعي يقال: (الحجر في مطرحو قنطار). فمهما كانت قيمة هذا الحجر وحجمه وأهميته فإنه يساوي قنطاراً لدى ثباته وعند حاجته لا يعادله شيء في ذلك. وعدم الاستهانة بهذا الحجر، فمهما كان صغيراً فله قيمته (الصرارة بتسند جبل) لأن هذه الصرارة مهما كان حجمها وتأثيرها فلها موقعها وأداة فعلها واستعمالها طالما أن (الجبال من الحصى). والحجر في

المثل الشعبي الفلسطيني هو الأداة المرتبطة بفعل فاعل. فلا دور للحجر بوصفه حجراً إلا بمقدار استجابته لأداء دوره في البيئة والحياة العامة. الحجر عاجز عن الفعل المؤثر وموجه حسب إرادة راميه لكنه حمل قدسية الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام فهو من امتطى صخرة القدس صعوداً إلى السموات السبع، أي أن رمزية هذا الحجر وتأثيره يبقى تابعاً لأهداف ووعي من يحمل مسؤولية استعماله لتثبيت هويته الوطنية.

2- البنية التأويلية لدلالات المثل الشعبي على النبات والحيوان

حظي النبات والحيوان بعشرات الأمثال الشعبية المقاومة، تعبيراً عن حياة وتجارب عايشها الفلسطيني بشكل عام ومن هذه الأمثال (أكل العنب وأعطانا الحصرم)؛ (الديك الفصيح في البيضة بصيح)؛ (الفرس بتعرف خيّالها)؛ (أجينا نحذي الفرس مد الفار رجله)؛ (ذنب الكلب عمرها ما تصح)؛ (الخيل الأصايل بتجود في الآخر)؛ (المهرة من خيّالها)؛ (فرخ البط عوّام)؛ (زي الكلب متحال باب داره)؛ (دوده من عوده)؛ (سمّن كلبك بوكلك)؛ (الديك الحذر ما بيوقع الا في الشرك المتين)؛ (الذيب ما بوكل الا الغنمة الشاردة)؛ (إلي بصبر على المر بوكل الحلو).

يتبين للباحثان في محاولتهما للكشف عن مناورات الاحتلال الصهيوني لينال ما وقعت عليه نيران استهدافه الحارقة والمارقة في تحقيق ذاتاً مصطنعة من وهم لتاريخ مؤسطر ولجغرافيا متشظية منذ خيانتهم لموسى عليه السلام، قوبلت هذه المناورات بوعي دلالات الاستشعار بخطط استيطان عابر رغم وجوده، ويستدل على الوعي بعلامات القهر والطمس لكل ما هو متاح في طبيعة فلسطين من قطع للأشجار وقتل للحيوان وتدمير ممنهج لكن مدلولاته همجية في حق الدين والنبات والإنسان والتراث، تمتع المتفحص لوعي وإرادة الفلسطيني الذي احتكم إلى أن صبره لن ينفد، وأن صبره بصبر الصبّار في صحاري قاحلة لكنه موطنه الأصلي، فقد لوحظ بعد تجربته من احتكاكه بألاعيب علامات المحتل المنتشرة في فضاء تمثل بطبيعة الحيوان الغدار والجبان العابث في بيارات ومزارع الفلسطيني فلقّنه الفلسطيني درساً في التشبيه الجسور، وقوفاً أمام محو تلك العلامات فجابهه بتشبيه النبات الذي يصد المعتدي، وحصان يعدو في محافل الوغى كناية عن الثبات والنضال للاستمرار في فضح وردع تلك العلامات وذارئعيتها، حيث أن رهان الفلسطيني على وقع التغني بفارس أحسن من امتطاء فرسه التي طالما استمرت في ساحات الوغى، فهو الحصان العربي الأصيل الذي يعترف له الداني والقاصي بفحولته وقدرته ووفائه لصاحبه.

في هذه المقاربة السيميسوسيولجية أثبت الفلسطيني معارضته لفريدناند دي سوسير الذي رأى أن فعل الكلام لا يمكن أن يكون دراسة علمية، وعلى العكس من ذلك أن كلام الفلسطيني استحق في هذا السياق من أن يكون موضوعاً علمياً، وهو كلام ليس عابراً طالما تقف دلالات اللغة خلف هذا الكلام أو بالأحرى المثل الشعبي والذي لعب دور العقد الاجتماعي الملزم لكل من يريد الالتزام والتواصل في أرض الأجداد، ومسرى رسول الأمة التي تجاوز تعداده المليار والنصف. وكان قدر الفلسطيني وفخره أن يكون رأس الحربة التي لم تلحق الحراب الأخرى به؛ ولذلك استحق بجدارة البحث والدراسة بغوص في مدلولات هذه الأمثال.

3- البنية التأويلية لدلالات المثل الشعبي على الإنسان

تناولت الأمثال الشعبية رموز متعددة للإنسان الفلسطيني وما يحمله من مدلولات مقاومة استخدمت وما زالت تستخدم في سياق الصراع مع المحتل الصهيوني فعلى سبيل المثال ذكر

المثل (ما بضيع حق وراه مطالب)؛ (المنية ولا الدنية)؛ (الدم عمره ما بصير مية)؛ (الشجاعة صبر ساعة)؛ (شايل كفنه على كتفه)؛ (كل دولة وإلها رجالها)؛ (هون طاب الموت)؛ (أخو أخته)؛ (إذا ما كنت فارس كنت فريسة)؛ (إلي معاه خالقه مين يخانقه)؛ (الموت ولا المذلة)؛ (أهل الدير أدرى باللي فيها)؛ (اجا مين يعرفك يا بلوط)؛ (إيد على إيد رحمة)؛ (نفس الرجال بحيي رجال)؛ (كل غريب لبلاده راجع)؛ (الإيد لحالها ما بتصفق)؛ (ما حك جلدك إلا

ظفرك)؛ (سر فاح بين اثنين بفضح)؛ (خيرنا ما بصير يروح لغيرنا)؛ (أخبث من أهل السبت أي اليهود)؛ (أخبث من يهود خيبر)؛ (ياما في الحبس مظاليم)؛ (عمر السجن ما سكر على حدى)؛ (السجن للرجال)؛ (دبه عن ظهر البيت بيجي واقف)؛ (يا ظالم لك يوم)؛ (مثل اليهودي أبو وجهين ولسانين)؛ (ما بعد الشدة إلا الفرج)؛ (السجن للرجال)؛ (السجن عمره ما سكر على حدا).

لوحظ أن المثل الشعبي الفلسطيني حمّال للدلالات في رمزيته للشخصية الفلسطينية ومنطوق ثائر استدعى استنهاض الشجاعة والصمود، وتعداها إلى نثرها في الوسط الاجتماعي المتأصل في بنية معرفية ترفض الهوان والاستكانة، مستبدلاً بدائلها بتغنيه بمدلولات المقاومة والإرادة التي لوحظ أنها تنبع من قوة الايمان بالله والولاء لوطن لا ينسجم مع بديله، وتضمّن المثل الشعبي في رسائله خطاباً عميقاً للمغتصب أن الحق لا يسقط بالتزامن، ولن يعلوه مساومة على حقوقه مهما طال الزمن مروراً بالإيمان العميق لرجوع اللاجئ الفلسطيني إلى مسقط رأسه، وقد برزت مدلولات المروءة التي تليق بالإنسان الفلسطيني الذي يستشعر كل لحظة إبعاد لثائر أو قتل لمناضل ومحاولة عزل هذا الإنسان الفائق التحمل في المخيال الفلسطيني وعكس ذلك تبين في مدلولات عجز الطارئين في هذه البلاد. فما كان يعد من باب الخوارق أضحى واقعاً مجسماً ينقله المثل الشعبي وسيطاً نزيها، ففاضت على مستهلكيه فيضاً من الصور التي عبرت عن نماذج متعددة من الأنساق الثقافية المنهمرة بغزارة على تصميم هذا الإنسان لمضيه في مواجهة محتله وقاتل أبيه وابنه وسارق كافة رموزه المتاحة.

لوحظ أيضاً في مدلولات المثل الشعبي الفلسطيني أن هناك تقاطعاً كبيراً مع مدلولات المثل العربي، حيث يلتقي في لغته الأم التي تمتد في فضاء الوطن العربي، على سبيل المثال حمل مثل المنية ولا الدنية تشابهاً كبيراً في مدلولات القدرة على بذل المزيد من التضحيات للإنسان العربي الذي لم يقبل حياة العبودية فهو شعار عربي قديم رفعه العرب قبل الإسلام؛ يوم كانوا يعيشون في شبه الجزيرة العربية لا يحكمهم الغرباء المستعمرون ولا أعوانهم فنجد هذا الشعار الذي رفعه الزعيم العربي الجاهلي، هانئ بن مسعود الشيباني، عندما ثار قومه في وجه الفرس الغاصبين ومواليهم من العرب المتخاذلين الذين كانوا يمثلون (وكلاء) الغرباء، كما نعرف من تنصيب ضعاف النفوس من أبناء الوطن؛ لكي يحكموا البلاد باسم الوطنية وتحت شعار الاستقلال المزيف، بينما يكون الوضع امتداداً لمناهج الاحتلال المباشر، ولكن بطريقة تبدو وطنية لأن الحاكم من أبناء جلدتهم ويتكلم لغتهم يعرفونه ويعيش بينهم كممثل شرعي لهم، بينما هو ممثل للغاصبين، ولكن بلباس وطني مزور.

كما ذكر سابقاً فإن الطبيعة الفلسطينية جبلت على الحرية ونزعة الاستقلال والعيش بعزة وكرامة، وتنفض المذلة ولا ترضخ لمشيئة الغاصبين الغرباء أو ما شابههم. فتلك قصة الملك العربي الطاغية المتجبر، حجر بن الحارث، والد الشاعر العربي امرئ القيس. لقد استبد حجر هذا بالحكم والسيطرة على قبيلة بني أسد ونصَّب نفسه ملكاً عليهم يسومهم سوء العذاب، ويمارس أساليب القهر والاستغلال، وتمادى بالظلم بكل أشكاله من الجبروت حتى لقد لقب ب (مُضَرِّط الحجارة) لشدة بطشه وقسوة ممارساته، إلى أن ثار بنو أسد عليه وقتلوه للخلاص من ظلمه والتخلص من أساليب القهر التي كان يمارسها ضد أبناء شعبه.

يتقاطع المعنى الدلالي لنضالات الفلسطينيين في حتمية المواجهة مع المحتل الصهيوني، وما قبله من الاحتلالات المتعاقبة في الشجاعة والتضحية واستنهاض الرجولة ونقلها للأجيال المتعاقبة؛ للاستمرار في الثبات وعمل المستحيل لشعب لم يألف إلا تحمّل قسوة تكالب الاحتلالات المتعددة لفلسطين على مر التاريخ، وهو بذلك يحاكي قصص وروايات أخرى لثوار العرب فعلى سبيل المثال في معركة ذي قار باتت دلالة واضحة على شموخ النفس العربية ورفضها للمذلة، وهذا ما يدل على انقلابها ضد الظالمين؛ عندما انحازت القبائل العربية التي جاءت بأذيال

الفرس لملاقاة إخوانهم العرب الرافضين (للدنية)، حين (انشقوا) عن الجيش الفارسي وانضموا إلى صفوف إخوانهم العرب من بني شيبان، عندما اشتدت المعركة.

يلتقي هذا المدلول طواعية مع كل الشعوب المقهورة التي نادت بهذا الشعار الذي هو شعار الأمم الحية التي تعشق الحرية وتزدري العبودية وتسعى إلى تحقيق العدالة التي نادى بها الإسلام العظيم، وتسترشد بمقولة الفاروق الذي رفض الظلم وصرخ: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا). (السعدي، 2011: 4)

لقد رفع هذا الشعار الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) يدويها عالياً (هيهات منّا الذلّة) جملة قالها يوم عاشوراء أمام جيش عبيد الله بن زياد في سياق عبارة موجهة إلى يزيد بن معاوية هي بالنص (إن الدّعي إبن الدّعي قد ركّزني بين اثنتين السلّة والذلةّ. وهيهات منّا الذلة). أي أن يزيد أراد منه إما أن يستسلم أو يسلّ سيفه ويحاربه. ما يعني أن لا رجعة لك يا حسين فإما أن تخضع لسلطة الحاكم (يزيد) وإما أن تقتل، واتخذ قراره بأنه لن يعطهم بيده إعطاء الذليل، ولا يقر إقرار العبيد. وتعني (الذلّة) عكس (العزّة أو الكرامة). وتعني في صرخة الحسين هذه أنه لا يليق بالمواطن الحر أن يعيش ذليلاً تحت سلطة حاكم فاسد. وعليه أن ينتصر لعزة نفسه باسترداد كرامته من الحاكم بالاحتجاج أو الثورة. (صالحن 2019).

ولنأخذ مثلاً آخر على مقاربة على الحالة الفلسطينية الأسيرة في المثل الشعبي (ما بعد الشدة إلا الفرج)، كان قدر فلسطين أنها وقعت فريسة مؤامرات الدول الاستعمارية التي سلطت عليها أناسًا ليسوا كالبشر فقد عرف هؤلاء بالكذب والخداع؛ لا يعرفون الرحمة، ولا يؤمنون بالفضيلة والأعراف التي حضّت عليها شرائع السماء والأرض؛ بل يدينون بالجريمة وشريعة الغاب والقهر؛ فيحرقون الأطفال ويقتلون الشيوخ والنساء ولا يستثنون أحدًا من جرائمهم؛ ويمعنون في التعذيب والتنكيل بأبناء شعب مسالم يقدس الأخلاق فيحرمونه من أبسط حقوقه ويضيقون عليه أرزاقه ويهدمون بيوت أبنائه ويغلقون الطرق ويقتحمون المدارس ويعتقلون الأطفال؛ ما ألهب مشاعر الأحرار في وطن أصبح سجنًا ضاق فضاؤه وأوصدت سبل الكرامة في وجه إنسانه.

من رحم هذه المعاناة ولدت قامات الشهامة التي لا تطيق الظلم ولا تستمرئ العيش في ظل القهر والاستعباد؛ إنهم الأسرى في سجون الاحتلال؛ فقد تم التعامل مع هؤلاء الرموز بقدسية رفيعة المستوى استعصت على الانحناء مقارنة بحجم عذاباتهم. فلذلك تغنى المثل برجولتهم وروت الأغنية الفلسطينية رفعتهم كما تضمنتها أغنية (من سجن عكا طلعت جنازة) ايام الاحتلال البريطاني والتي تبلغ المحتل بأن إعدام هؤلاء الأسرى الثلاثة (محمد جمجوم، عطا الزير، فؤاد حجازي، عام 1930) لأن أقدامهم كانت فوق رقبة الجلاد حتى في شهادتهم، ولذلك تعامل معهم المثل الفلسطيني بأنهم نبض البطولة وأنشودة النخوة والمروءة وتراويد الشجاعة والتحدي، هم العيون المرابطة الرابضة التي باتت حارسة لرفعة الوطن، هم ملوك القلوب ومالكوها؛ احتضنوا آمال الأكف الطرية لتغدو سواعد عطاء تشيد صرح الوطن.

فقالوا بلسان الفلسطيني الذي ما عرف سوى أطيب الكلام وأحكمه بين شعوب الأرض للتهوين على ذوي السجين بأن الله سيأتي بفرجه، طال الزمان أم قصُر "الشِدَّة ما هي مِدّة" أي أن الشدائد والمصائب والأحزان لا بد وأن تنتهي؛ وأن الفرج آت لا محالة. و"عمر السجن ما سكر "إبوابه" على حدا" أي أن الخروج من السجن أمر أكيد؛ فلا مجال لشماتة الأعداء. وامتدحوا من يخرج من السجن لثورته على الظلم والاحتلال، فقالوا: "الحبس للرجال".

وللتخفيف على ذوي الأسير فقالوا: "ما غايب إلّا غايب اللحود" أي أن كل غائب لا بد وأن يعود ما دام حيًا. و"الصبر مفتاح الفرج" وهو قول يُساقْ للحض على الجلد ريثما يأتي الفرج. و"العسر بين يسرين" أي أن الفرج مضمون؛ والعسر محصور وإلى زوال. ويهئ المثل الفلسطيني الأسير بالتحرر والسلامة ويظهرون الفرح بأقوال منها: "راح الأسر وظل الأجر" وهو قول يساق لإشاعة الفرحة في نفس الأسير المحرر. و"السجن للرجال" وهو قول يؤكد أن

السجن لا يدخل عتمته وعذاباته إلا من اتصفوا بالشجاعة والشهامة والرجولة. والتقوا الأحباب بعد الغياب" وهو قول غالِبًا مَا يُساقُ للتعبير عن الفرحة باجتماع الشمل ورجوع الأصدقاء (أقوال وأمثال شعبية فلسطينية في الأسرى، info. wafa. ps)

يلاحظ من هذه الدراسة أن الفلسطينيين يحاولون باستمرار إعادة مملكة العلامات إلى الحياة من جديد عبر أمثالهم الشعبية المحكية، وصولاً إلى تحطيم ما يمكن تحطيمه من رموز مؤسطرة للعدو الصهيوني والمتشظية عبر جغرافيا الكرة الأرضية من أيام خيانتهم للنبي موسى عليه السلام، فجاءت أساليب الاحتلال التي تستهدف رموز الشعب الفلسطيني وهويتهم وقوة صمودهم. ومن الملاحظ أن المحاولات الفلسطينية للصمود تنبع من رواية مصدرها الايمان بالحق لتشكل نسيجا معرفيا يرتبط بحالة كبيرة من الشغف والتعلق بالأرض مسقط الرأس وبالحق المرتبط برموز وعلامات الفضاء الفلسطيني المشبع بها والمتخم برموز المكان والزمان والإنسان وحضارته وعلاماتها، على الرغم من من سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

والمثل الشعبي الفلسطيني جاء معبّراً أصدق تعبير عن حياة الفلسطيني فوق أرضه الممتدة من البحر إلى النهر ومن الصحراء إلى الجليل، وسط مختلف البيئات حسب التموضع الجغرافي، فهناك البيئات، البحرية، الداخلية، الجبلية، والصحراوية، لذلك فإن التعدد والتنوع للمثل الشعبي نتاج جغرافيا المكان والتطور التاريخي، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى تباين بالمفاهيم من منطقة إلى أخرى، ولا يلغي هذا الاختلاف البسيط مدلولات المفاهيم التي قام عليها المثل الشعبي لأنه المرآة التي ترى ما بداخلها وتكشف ما حولها وكل ما يمت بصلة إليها .

الخاتمة.

لوحظ كثافة دوال الأمثال الشعبية وتشعب مدلولاتها في كل ما هو متاح لحياة الشعب الفلسطيني من رموز طبيعته مكانه وجماده، نباته وإنسانه. فقد أفضت نتائج الدراسة إلى بنية تأويلية لدلالات المثل الشعبي على الزمان ورموز المكان، وبنية تأويلية لدلالات المثل الشعبي اشتملت على النبات والحيوان، وبنية تأويلية لدلالات المثل الشعبي على الإنسان. فقد جاءت تعبيرات تلك الأمثال الشعبية كمدلول إضافي على سياقات اجتماعية وسياسية منبعها حالة الاشتباك الدائم مع عدو لا يعرف إلا التمسك بأدوات الطمس والتخريب والقتل والدمار للشجر والنبات والحيوان نكاية بالإنسان الفلسطيني، فنجد أن المثل الشعبي قام بمحاولة تنظيم الفعل وتأطيره وصولاً لتناغم الوجدان، واستنهاضاً للضمير الجمعي ومحركاً لرغبة المظلومين في نيل حريتهم، في مشهد قل نظيره في ملاحم التاريخ، وحاكت في دوالها ملاحم وتراجيديا الخرافة لكنّها واقعية، فصاغت تلك الأمثال الشعبية فلسفة جماهير مناضلة تستلهم عزيمة وإصرار أدهشت عدوه قبل صديقه، فجلّ الأمثال الشعبية التي جمعت بين جمادها ونباتها وإنسانها وكافة رموزها امتلكت طابع الحياة المانعة القاهرة لكل متسوّل يبحث عن قتلها؛ ولذلك كان من الصعب اقتلاع أو استنساخ لأي رمز من رموز الشعب الفلسطيني بما فيه الحجر والنبات الذي عبر عنه الفلسطيني بمخزون معرفي كبير أشارت اليه دلالات هذه الأمثال الشعبية.

التوصية:

يوصي الباحثان بعمل المزيد من الأبحاث المعمّقة حول هذا الموضوع لأهميته وخاصة أنها تأتي لرأب الصدع عن تجاهل هذه الكم الهائل في الموروث الثقافي. والذي هو بحاجة إلى إحيائه بطريقة منهجية لتعزيز الهوية الوطنية.

قائمة المراجع.

أولاً- المراجع بالعربية:

- أحمد، عبد الغفار محمد. (1999). "المأثور الشعبي ونمط الإنتاج". المجلة العربية للثقافة، عدد خاص بالمأثور الشعبي في الوطن العربي. تونس.
- أقوال وأمثال شعبية فلسطينية في الأسرى. تم استرجاع هذا الرابط بتاريخ 5. 12. 2020. https://info. wafa. ps/ar_page. aspx?id=gcXJJha27841630509agcXJJh
- أنجرس، موريس. (2004). "منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية". تدريبات منهجية. ترجمة: صحراوي، بوزيد وآخرون. الجزائر: دار القصبة. ص427.
- أيوب، عبد الرحمن. (1999). "الذاكرة واللسان". المجلة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس.
- بوعزيزي، محسن. (2010) " .السيميولوجيا الاجتماعية ."بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ط1 .
- جامعة القدس المفتوحة. (2010). "نظريات في علم الاجتماع". عمان، 106.
- جبر، محمد كمال. (2012). "المثل الشعبي الفلسطيني. جامعة النجاح الوطنية- نابلس.
- حجازي، أحمد توفيق. (2002). " موسوعة الأمثال الشعبية ". عمان: دار أسامة. ط1
- الحلبي، وسيلة محمود. (2009). "صور من تراثنا الفلسطيني في الأمثال الشعبية (1-2)". الرأي، 2009. 5. 1، العدد 13364).
- الحوت، بيان نهويض. (1991). "فلسطين، القضية الفلسطينية، الشعب، الحضارة". بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر.
- الخديري، رشيد. (2020). "الذاكرة ملاذ السرد". تم استرجاع هذا الرابط بتاريخ 1. 11. 2020. tabayyun. dohainstitute. org.
- زايد، أحمد وآخرون. (1996). " آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع. نظرية تشكيل البنية (نظرية البنية). المجلة الاجتماعية القومية. المجلد33. العدد الأول والثاني. المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. يناير/ مايو. 1996. القاهرة. ص65.
- السعدي، ياسين. (2011). جريدة القدس يوم الأحد بتاريخ 4-9-2011م؛ صفحة 4. تم استرجاع هذا الرابط بتاريخ 5. 12. 2020. pulpit. alwatanvoice. com.
- شرشار، عبد القادر. (2002). "المثل الشعبي وانعكاساته على ثقافة المجتمع: مقاربة سوسيولوجية. أشغال ملتقى الوطني مظاهر وحدة المجتمع الجزائري. بتيارت. ط3. ص126.
- صالح، قاسم. (2019). "هيهات منا الذلة، أين منها نحن الآن ". تم استرجاع هذا الرابط بتاريخ 5. 12. 2020 . https://almadapaper. net/view. php?cat=221260
- فرحات، محمد نعيم. (2010). "دراسة عن المنفى الفلسطيني، البنية والتحولات، مجلة إضافات". العدد العاشر، مركز دراسات الوحدة العربية.
- قطناني، خليل. (2017). " المكونات المعرفية في المثل الشعبي الفلسطيني مقاربة سوسيولوجية". مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث (العلوم الإنسانية. مجلد 31 (11).
- مركز المعلومات الفلسطيني. " وفا- انتفاضة الحجارة". info. wafa. ps

- مقراني، أنور. (2016). "من وهم صناعة الوقائع الساذجة إلى مهنة عالم الاجتماع". تم استرجاع هذا الرابط بتاريخ 4. 11. 2020. https://search. mandumah. com/Record/760004
- ملتقى النسر الأحمر. (2007). "الأمثال الشعبية الفلسطينية". تم استرجاع هذا الرابط بتاريخ 5. 12. 2020. https://redeagle. ahlamontada. com/t9201p30-topic
- نجم، السيد. (2005). " المقاومة في الأمثال الشعبية ". : الضرب بالطوب ولا الهروب) تم استرجاع هذا الرابط بتاريخ 5. 12. 2020 http://www. grenc. com/show_article_main. cfm?id=280

ثانياً- المراجع بالإنجليزية:

- A, Bryman,. (1988). "Quantity and quality in Social research", London. Unwin Hyman.
- Jane Gilgun, (ed) (1992). "Qualitative methods in family research". London: Sage Publication.
- Naila Kabeer, (1994). "Research realities: gender hierarchies in development thought". London: VERSO.